إشكالية العنف في التّلفزيون
دراسة لنظريّات تأثير برامج العنف التّلفزيونية على الأطفال

سمير حراث
جامعة المدية

الملخص:

كشفت دراسة قامت بها مصالح وزارة جزائرية حول انتشار ظاهرة العنف في الوسط التربوي منذ سنة 2000 إلى غاية 2007، إحصاء أزيد من 300 ألف حالة عنف في أوساط التلاميذ، أغلبها في الطور المتوسط، فيما تم تسجيل أزيد من 8 آلاف حالة عنف للتلاميذ تجاه الأساتذة وموظفي الإدارة خلال الموسم الماضي ((2009)، و5 آلاف حالة عنف للأساتذة وموظفي الإدارة تجاه التلاميذ خلال نفس الموسم.

ولما كان العنف من الممارسات الأكثر حضورا في جميع المجتمعات الإنسانية، فقد انصب اهتمام علماء الاجتماع حول هذه الظاهرة وحاول العديد منهم تفسيرها، واقتراح بعض الحلول العملية للحد منها.

Abstract:

A study carried out by the interests of the Ministry of Algerian about the spread of the phenomenon of violence in the center of education since 2000 until 2007, counting more than 300 thousand cases of violence among students, mostly in the phase of the medium, as has been recorded more than 8 thousand cases of violence for students to professors and staff administration during the last season ((2009), and 5 cases of violence for thousands of teachers and students towards management personnel during the same season.

As the violence of the practices most present in all human societies, has focused the attention of sociologists about this

phenomenon and many of them tried to interpret, and propose some practical solutions to reduce them.

مقدمة:

إذا كان القرن العشرون قد شكل منطلق الثورات التّكنولوجية المتلاحقة في مجالات مختلفة، فإن الملمح الأساسي لهذا العصر يتجسد في ثورة الاتصال والمعلومات والتفجر المعرفي، لحد أصبح فيه العالم قرية إلكترونية صغيرة، بعد أن توحّدت أقطاره وأزيحت حواجزه بفضل الأقمار الصناعية وبعد التطور الكبير الذي عرفته، ما أدى إلى عولمة البث والإرسال لمختلف الأفكار والإيديولوجيات، بغض النّظر عن القيم المحلية والخصوصيات التي تنطوي عليها مختلف الثّقافات.

والجدير بالذّكر أنّ وسائل الإعلام قد تبوّأت مكانا مهما وخطيرا في كنف هذا التّطور السّريع للاتصال الكوني، والّذي لم يعد يستند على التّقنيات البسيطة، بل تنامت فعالياته مع رقمنة الاتصال وإقحام التّكنولوجيا الحديثة في مختلف مراحل صناعة الخبر، وتحكّم هذه الأخيرة في مضامين الرّسائل الإعلامية بفعل ما تنطوي عليه من خصائص حديثة لم تتح في خضم الاتّصال التّقليدي، ولعل أبرزها " التّفاعلية، الآنية، الحوار، والتّحكمية...." ناهيك عن تعدّدية عناصر خطاب هذا الإعلام، والّذي يستحوذ على المتلقي بفعل علاماته التي تجمع بين المرئي والمسموع، فتعيد إحياء دلالاته من خلال الصبغة الواقعية التي تضيفها العلامات الحركية، الإيمائية، والأبعاد المختلفة للتقنيات الرقمية الحديثة، والتي تعزز هيمنة الرسالة ونفوذها " واقعية كانت أو تراجيدية، أو درامية" فالكلّ سواء في تأثيره على المتلقي.

وهنا، تجاوز تأثير وسائل الإعلام حدود التوقعات العلمية الخاصة بالدور الذي يمكن لها أن تلعبه في حياة الناس و في حياة المجتمعات الإنسانية، والدليل على ذلك أن التّلفزيون قد استطاع يتجاوز مهمته في تحقيق الاتصال بين الناس و نقل المعلومات، ليصبح مع مرور الزمن عصب الحياة بمجالاتها المختلفة، السياسية منها و الاجتماعية و التربوية، لحد غدا فيه

صاحب النفوذ الأكبر في تشكيل الرأي العام، وتوجيهه، أو حتى قيادته أو تغييره.

ولعل أكثر المضامين التّلفزيونية تأثيرا على المتلقي تلك المشبعة بالعنف، نظرا لما يمكن أن تمارسه هذه الأخيرة من تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة على مختلف سلوكاته، إنها المضامين التي استلهمت معالمها من استراتيجيات الدعاية، وتوسعت عليها لتقتحم مختلف البرامج، وتصبح بعدها إستراتيجية خاصة بتسويقها، مهدت لها العديد من الدّراسات والنّظريات التي أعطت الشّرعية لمختلف المضامين العنيفة .

وأمام هذا الاهتمام المتنامي للبرامج التّلفزيونية العنيفة، تنامت معه المخاوف في شأن التّأثيرات السّلبية والقويّة التي يمكن أن تمارسها هذه الأخيرة على نفسية الأفراد والجماعات، على اختلاف الشرائح والتّوجهات، وهنا، بدأ التّشكيك في إيجابية هذه البرامج، حيث أن نموها المتسارع استطاع أن يقدم الإجابات عن مختلف التساؤلات المتعلقة بانتشار العنف والجرائم في المجتمعات، وتغير القيم والمعتقدات، الشيء الذي اقتضى دراسات خاصة تبحث في شأن الآثار السلبية التي يمكن أن تمارسها برامج العنف التّلفزيونية على الأفراد، لا سيما وأن لهذه الوسيلة سحرها الخاص، الذي يجمع بين قوّة المعنى والتّقنية.

إشكالية الدّراسة:

لا يحتاج الباحث إلى جهد للكشف عن مظاهر العنف السّائدة في المجتمع و بخاصة عند الأطفال، لأن هذه الأخيرة كثيرة ومتنوعة، كما أن معالمها أصبحت واضحة و ملموسة خلال السّنوات الأخيرة، لحد أجزم فيه العديد من الباحثين سواء في مجال الإعلام، أو في إطار العلوم الاجتماعية والإنسانية أنّ تنامي العنف في المجتمع ذو علاقة وطيدة بالكمّ الهائم من المضامين العنيفة التي يبثها التّلفزيون تحت أقنعة برامج مختلفة ومتنوعة.

وهنا، انصبت جهود العديد من هؤلاء على مختلف التّأثيرات التي تحققها هذه البرامج على الأفراد باختلاف الشّرائح والتوجهات، كما ركّزوا في ذات

الوقت على الميكانيزم أو السّيرورة التي يتحقق وفقها هذا التأثير، وعلى إرهاصاته المختلفة على الأفراد والجماعات، وهي في مجملها دراسات قد تنامت، بعد الملاحظات العلمية المؤكدة لتأثر المشاهدين بالبرامج الإعلامية الممررة، وكان المنطلق الأساسي في هذه الاجتهادات، أن وراء كل برنامج عنف تأثيرات سلبية ووخيمة على سلوكات الأفراد، لا سيما شريحة الأطفال، ما أدى بهم إلى الجزم فيما بعد بأن هذه البرامج تخلق في الغالب نظرة خاطئة و مختلفة عن العالم ،إذ تساهم في بلورة أفكار جديدة.

بيد أن هذا المنطلق لم يكن الوحيد الذي استطاع ترجمة تأثيرات برامج العنف التّلفزيونية على الأطفال، إذ تداعت فيما بعد توجهات جديدة تسلم بإيجابية هذه البرامج، وضرورتها في التّلقين والتّربية.

ومن شأن هذا التجاذب والتّصادم الفكري أن يخلق نوعا من التّساؤل في شأن محور التّأثير، وسيرورته، لاسيما إذا ما تعلق الأمر بتأثيرات مضامين العنف التّلفزيونية على الأطفال، وهنا، وجهت الدراسات جهودها نحو البحث نقاط عن مختلفة، البعض منها قد ركز على مفهوم العنف في حد ذاته، خصائصه، كيفية تشكّله، ودوافعه، وبحثت في ذات الوقت عن إيجابيّاته وسلبياته، وركّزت الدّراسات الأخرى على آليّة تمثيل التّلفزيون للعنف، واستوجب ذلك البحث في شأن خصوصية الوسيلة، وطبيعة خطابها، وكيفية إنتاجه وتقديمه للمضامين العنيفة، كما نجد من الدّراسات من تجاوزت حدود قوّة التّقنية، وقوّة الوسيلة، إلى قوّة الرّسالة، وتلقي هذه الأخيرة من قبل الجمهور، وهنا تبلورت دراسات أخرى تبحث في شأن تلقي الأفراد لمضامين العنف، والتأثيرات الّتي تتركها هذه الأخيرة على نفوسهم بعد التّعرض لها وأخذت شريحة الأطفال لقياس هذا التّأثير، نظرا لتنامي المؤشّرات العلميّة المبيّنة لتأثّرهم الحاد ببرامج العنف التّلفزيونية .

وهنا، تتبلور إشكالية الدراسة، المتعلقة بالبحث عن القيم والسّلوكات التي يكتسبها الأطفال من المضامين التّلفزيونية، فضلا عن معرفة كيف يساهم هذا الأخير – ببرامجه المختلفة- في اكتساب هذه الشّريحة سلوكات عنيفة، لا سيما وأنّ معطيات علمية كثيرة تشير إلى العلاقة الوثيقة بين الأطفال

و التّلفزيون وبرامج العنف، وهو ما أكدته مختلف البحوث الميدانية التي تمّ إجراؤها في هذا الشأن.

فبخصوص العنف أكّدت الاجتهادات العلمية المختلفة أن معظم الأبحاث المدروسة قد ركّزت على العنف كأحد التأثيرات السلبية للتلفزيون على الأطفال،إذ ربطت هذه الأخيرة بين العنف التّلفزيوني و بين السلوك العنيف للأطفال،لتسلم فيما بعد بالعلاقة الوطيدة بين المتغيرين، ، كما أن جميع خبراء الاجتماع و التربية و علم النفس، أثبتوا التأثير السلبي لأفلام و برامج العنف بنسبة 100 % على هذه الشريحة(الأطفال)،محذرين من تعرضها للبرامج التي تثير رعبهم كبرامج القتل و الجرائم(مجلة المعرفة الإلكترونية ، العدد166 : www.almarefh.org)

والمشكلة في هذا الشأن لا ترتبط فقط ببرامج العنف التّلفزيونية في حد ذاتها، بقدر ما تتعلق بسياق المشاهدة، ونمطها، وعواملها المختلفة، وهنا، يحتل التغير الأسري مرتبة أساسية في هذا الشأن، حيث أن تقلص الأسرة، وتغير حالتها الاقتصادية، واقتحام المرأة عالم الشغل، وتغير القيم التقليدية، وضيق وقت الوالدين، وتنامي الوسائل الإعلامية، وتعزز دور التّلفزيون في الأسرة....كلها عوامل شجعت تلقي الأطفال للبرامج التّلفزيونية العنيفة، ومن ثم عززت تأثيرات هذه الأخيرة على سلوكاتهم، لا بل امتد نفوذ هذه الوسيلة إلى اقتحامها خصوصية الأسرة، وأدوارها، فشجّع مع غياب مراقبة الوالدين، وازدياد ثقتهما المطلقة بدور التّلفزيون في التّنشئة الاجتماعية، تلقّي الأطفال البرامج المخصّصة للكبار، و في مقدمتها أفلام العنف والجريمة، وهنا، يكمن محور الخطر، إذ أنّ هذه المضامين ترسخ ثقافة العنف، وتعزز شرعية استخدامه، و وفق هذه السّيرورة، يتحوّل القائمون به إلى أبطال، وتصقل هذه الصور في نفسية الأطفال فينزاحون عن وعي أو من دون وعي إلى تقليدها، وهنا، يكمن محور الخطر .

ومن شأن هذه الأفكار أن تعزّز فينا رغبة البحث عن جواب لإشكالية أساسية، تتمثّل في :

كيف تؤثر برامج العنف التّلفزيونية على التّنشئة الاجتماعية للأطفال، وما هو الدّور الّذي تلعبه في هذه العملية ؟

إنّها الإشكالية الّتي اقتضت منا البحث عن نقاط جوهرية، يمكن اعتبارها المفاتيح الدّلالية القادرة على تقديم الإجابات الّتي نبحث عنها في شأن تأثير برامج العنف التّلفزيونية على الأطفال، وتطلبت منا هذه الأخيرة الوقوف بالشّرح والتّحليل عند التّلفزيون، وخصوصيته كوسيلة ورسالة في الآن ذاته، ليتسنى لنا فيما بعد الحديث عن العنف بشكل عام، والعنف التّلفزيوني على نحو التّحديد، وهما المحوران اللذان سيسمحان لنا فيما بعد بالحديث عن تأثير برامج العنف التّلفزيونية على الأطفال، وارتأينا في هذا الشأن الاستشهاد بمختلف النظريات والدراسات التي جاءت في هذا السياق.

أولا، التّلفزيون، وخصوصيّته كوسيلة ورسالة:

قبل الحديث عن تأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال، لابد أوّلا من الإلمام بخصوصيات التّلفزيون – كوسيلة ورسالة – في الآن ذاته، وهنا، لابد من العودة إلى المفهوم اللّغوي لكلمة télévisionوالّتي تتفرع بدورها إلى شقيّن أساسيين، أوّلهما "télé"الّذي يعني "عن بعد" و " vision" الّذي يفيد " الرّؤية" وباتّحادهما، تتكوّن دلالة "الرّؤية عن بعد"(*محمود إبراهن ،قاموس موسوعي للإعلام والاتصال، ص 686*).

وهنا، يعتبر التّلفزيون وسيلة من الوسائل الجماهيرية الحديثة النّشأة، تعتمد أساسا على الصورة، ولهذه الأخيرة ميزتها الخاصة في هذه الوسيلة، إذ تتكون من مجموعة موسومة من النّقط الضّوئية، وتظهر على الشّاشة بواسطة شعاع إلكتروني، وكلما زاد عدد النقط، زادت الصّورة وضوحا، والعكس صحيح(فضيل دليو، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، ،ص 96).

والجدير بالذّكر أنّ الخطاب التّلفزيوني لا يعتمد على الصورة – فحسب- بل يستند في ذات الوقت على الحركة والصّوت، وهي عناصر استلهمتها هذه الوسيلة من تقنيات التعبير السينمائية، وطورت ميكانيزماتها مع التّطور التّقني للبث التّلفزيوني من جهة، ولجهاز التّلفزيون في حد ذاته من جهة أخرى، هذا، وورثت هذه الوسيلة الإعلامية عن المسرح والحوار والحدث والتمثيل، الشّيء الذي جعل من التّلفزيون : "واحدا من مجالات التّعبير التّصويري التّخيلي، يعد وسيلة هامة لبث واستقبال الصّور والأصوات عبر مسافات طويلة وإلى عدد غير محدود من الأمكنة، في ذات الوقت الذي يجري فيه الحدث"(فضيل ديليو، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، ،ص 96).

ومن شأن هذا التّعريف أن يثبت خاصية أساسية يتميز بها التّلفزيون عن الوسائل الإعلامية الأخرى، والمتمثّلة في الآنية والتفاعلية، لا سيما مع توسع تقنيات البث، ورقمنة هذا الجهاز.

ووفق هذا المنظور، يحتلّ التّلفزيون مكانة هامة وفعالة في حياة كل فرد، ويعود السّبب في ذلك إلى تنوع الخدمات التي يقدمها هذا الأخير، والّتي تتجاذب بين الإعلام والترفيه، إلى حد أصبحت فيه هذه الوسيلة نافذة مفتوحة على العالم، غير العالم الواقعي المعاش .

ومفاد هذا أنّ التّلفزيون وسيلة إعلامية هامة، قد احتلّت مكانة معتبرة في حياة الجمهور، ليس فقط لتنوّع البرامج التّلفزيونية التي تقدمها، إنما لتنوع العناصر الدّاخلة في تشكيل الخطاب التّلفزيوني، والقادرة بمضامينها القويّة والنّرية التأثير على الجمهور، لاسيما إذا كانت هذه المضامين مشبعة ببرامج العنف والإثارة، حيث أن لهذه الأخيرة ممارساتها الخاصة على نفسيّة الأفراد، وينعكس هذا التأثير على سلوكاتهم وتصرفاتهم المختلفة .

كما أن لهذه الوسيلة سحرها الخاص، لا يتوقف على الدّلالات التّعبيرية المؤسسة للخطاب التّلفزيوني بقدر ما يتوقّف على خصائص هذه الوسيلة في حدّ ذاتها، والتي ارتقت بها إلى حد تشكيل ما يسمى بـ"الواقع الموازي" أو " الواقع المفروض، الخيالي والمختزل" ،وهو واقع لا يحتفظ بالتمثلات

الحقيقية للأشياء، بقدر ما يحاول تحوير هذه التمثلات على نحو يخدم الجهات المسؤولة على الخطاب التّلفزيوني، ومن أهم الخصائص التي يمكن إجمالها في هذا الشأن نجد(نعيمة واكد، مقدمة في علم الإعلام، ص 100):

- يعد التّلفزيون من أقوى الأجهزة الإعلامية، إذ يعتمد في مخاطبته للجمهور على الصورة والحركة واللون في آن واحد، الأمر الذي يؤدي إلى عرض الأحداث بطريقة مشوقة وتقديم الثقافة والمعرفة في صورة جد جذابة .

- يتميز التّلفزيون بخاصية الاستحواذ، ويعود السّبب في ذلك إلى كونه يجمع بين السّمع والبصر، فيشدّ انتباه المشاهد بما يعرضه من صور وأحداث، وتحوّر مع مرور الزّمن إلى فرد من أفراد الأسرة، حيث احتل حيزا معتبرا في نشاطاتها واهتماماتها الأساسية، لا بل أصبح مع تقدم تقنياته وخدماته أولوية من الأولويات التي لا بد من الالتزام بها.

- يدخل التّلفزيون ضمن العناصر الهامّة في تشكيل التمثلات الذهنية حول الأحداث، الأشياء والمواقف، مما يجعله أداة أساسية لتشكيل الرأي العام وتوجيهه، وتحريكه، وتتحقق هذه الخاصية بفضل طرق الإيحاء والمحاكاة والتّفاعل الاجتماعي، والّتي تساعد المشاهد على تكوين وتغيير وتعديل مواقفه واتجاهاته في مختلف الأحداث والقضايا .

ووفق هذه الخصائص، وإضافة إلى عناصر أخرى، تصبح التّجربة التّلفزيونية مجالا لاقتحام عالم آخر يحاول التّلفزيون صنعه، وهو عالم خاص بهذه الوسيلة كثيرا ما يمارس تأثيره الحاد على العالم الواقعي لا سيما إذا ما تعلق الأمر بالمضامين التّلفزيونية العنيفة، نظرا لاقتحام هذه الوسيلة حدود العقل والمنطق، لتضفي مساحات من الواقع على ما هو خيالي، وهنا تختلط الدلالات في شأن مختلف التمثلات .

وهنا، يعيد التّلفزيون تمثيل مختلف محطات ومشاهد الحياة، مثلما تمثل الأحداث والحكايات على عرض مسرحي، ومن شأن هذا أن يحول كل الأحداث والوقائع إلى مشاهد تلفزيونية، تتميز بالتأثير المعمق وبالفاعلية .

هكذا، تتداعى إلى أذهاننا حقائق أخرى مرتبطة بالتّلفزيون، وتتمثل في كونه يقفز بين حواجز الزّمان والمكان ويتجاوز بنيتها إلى حد صنع معايير أخرى خاصة بهذه الأبعاد، وهي معايير تعززها التّجربة التّلفزيونية، وخاصية الاستحواذ التي تتمتع بها هذه الوسيلة، ومن خلالها يصعب الفصل بين "الزمن الاجتماعي المعاش، والزمن الإعلامي الرمزي"، لا بل أصبح الزمن الإعلامي هو السائد في حياة الأفراد ويعود السبب في هذا إلى حجم الساعات التي يقضيها المتلقي أمام شاشة التّلفزيون (عزي عبد الرحمن، الزمن الإعلامي والزمن التّلفزيوني، قراءة في تفكيك بنية التحول الثقافي في المنطقة العربية، ص 73).

ومن شأن هذا أن يولد ظاهرة جديدة، تدخل في نطاق مفهوم " العنف الرمزي للتلفزيون" حسب أفكار " بيير بورديو " Pierre Bourdieu " ويتعلق الأمر هنا، بممارسة التّلفزيون سلطته الرمزية على الأفراد والجماعات، من خلال الكم الهائل من المضامين التي يفرضها عليهم، وتتحكم في أفكارهم وتوجهاتهم، بفضل العناصر البلاغية الخاصّة التي يعتمدها الخطاب التّلفزيوني، والتي يحتل العنف الصّدارة فيها، وقد أدى هذا إلى تقليص زمن العلاقات الاجتماعية بالتدريج، وهكذا يتأثر الزمن القيمي للأفراد والجماعات(بيير بورديو، التّلفزيون وآليات التلاعب بالعقول،ترجمة درويش الحلوجي، ص 105).

ويقال ذات الشّيء فيما هو مرتبط بالفضاء، حيث اقتصر هذا الأخير على الفضاء الذي يصنع حيثياته التّلفزيون، مما أدى إلى تراجع قيمة الفضاءات الأخرى، وزوال سيطرتها الخاصة على الأفراد بفعل السيطرة الرّمزية التي فرضتها المضامين التّلفزيونية.

وتؤكد لنا هذه النّقطة حقيقة أن العالم التّلفزيوني لا يمكن أن يمرّ من دون إحداث تأثيره الخاص لاسيما مع تنوع البرامج التي يقدمها هذا الأخير، وظهور ما يسمى بالتّلفزيون التفاعلي، حيث أنه، ومع هذا الصنف الجديد للتّلفزيون، أصبح المشاهد يتمتع بفرصته الخاصة في دخول مجرى البرنامج، إذ أنّ المضامين التّلفزيونية لم تعد تخاطب رغبته فحسب، بل أتيحت له الفرصة للدّخول في مجرى الأحداث وأصبحت المضامين بحد ذاتها تخاطب

حرية اختياره، وهي في الواقع حرية وهمية يصنعها جهاز التّحكم التّلفزيوني، والّذي يعطي المجال لتعدد القنوات، وامتداد فرص الاختيار، وما عدا ذلك وهمي يتم غرسه في ثقافة المشاهد بفضل بلاغة الخطاب التّلفزيوني.

وهنا، تتداعى حقيقة أساسية، تتمثّل في أن المضامين التّلفزيونية ومهما كانت متنوعة، إلا أنها موجهة في واقع الأمر، لا يتحكم فيها الصحفي بقدر ما يتحكم فيها أصحاب الرأس مال الإعلامي وتكون الحرية مفتوحة للمنافسة في شأن البرامج، ويتحول المال لا الإعلام محركا أساسيا للإنتاجية البرامجية التّلفزيونية، وتدخل برامج العنف التّلفزيوني ضمن أولويات ومحركات الصراع، نظرا لارتباطها الوثيق بمحركات العلاقات الدولية، وإيديولوجيات المتحكّمين في الخطابات التّلفزيونية، وممارستها التّأثير الخاص على شريحة الأطفال باعتبارهم عصب الحياة الاجتماعية ككل، وقد استدعى ذلك البحث والتعمق في شأن العنف التّلفزيوني، وعلاقته بالعنف الواقعي، ليتسنى لنا فيما بعد معرفة تأثير هذا الأخير على شريحة الأطفال، وفق أسس، وأطروحات مختلف النّظريات المعالجة لهذه النقطة الحساسة.

ثانيا.العنف التّلفزيوني بين الواقع والتّمثيل

إنه من الصعب والعسير تقديم تعريف موحد للعنف، نظرا لاختلاف اهتمامات و تخصصات الباحثين في هذا الصّدد. فعلماء الاجتماع يعرفونه بطريقة مختلفة عن علماء النفس، و هؤلاء بدورهم يختلفون في تعريفهم له عن علماء الجريمة و القانون، و مع ذلك سنقدّم مجموعة من التّعريفات في شأنه، كي يتسنى لنا فيما بعد مقاربته في إطار برامج وسائل الإعلام، بما في ذلك التّلفزيون. ومن جملة ما طرح في هذا الشّأن، مجموعة التّعريفات التّالية:

أ- التّعريف اللغوي للعنف: يعرف ابن منظور العنف بكونه:" الخرق بالأمر وقلّة الرّفقة به، وهو ضدّ الرّفق، عنّف بهِ وعليه عنفا وعنافة وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، واعتنف الأمر: أخذه بعنف" وورد المعنى ذاته في الحديث: "إن الله تعالى يعطي على الرّفق ما لا يعطي على العنف... "وكل ما في الرّفق من الخير ففي العنف من الشّر مثله، وأعنف

الشيء : أخذه بشدة- و اعتنف الشيء: كرهه، والتعنيف: التعيير واللّوم. وفي الحديث: "إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يعنفها"، التعنيف: التّوبيخ والتّقريع واللوم وهنا، يكون العنف من مفهوم " ابن منظور كل سلوك نقيض للرفق والشفقة وحسن المعاملة(ابن منظور، لسان العرب، ص 903).

هذا، وعرف قاموس "لاروس" العنف بكونه: "تلك الصّفة التي تبرز أو تتكرر وتختلف معها العوامل بقوّة حادة و قساوة معتبرة، هي في أكثر الأحيان ضارة ومهلكة وهو صفة لشعور رهيب نحو شيء، كالكره الرهيب أو صفة لشخص له استعداد تام لاستعمال القوّة، ويتصف بالعدوانية، كما يدل العنف على صفة التسماح وعدوانية كبرى، والاندفاع والقساوة في الكلام وحتى في التصرف، ويشير كذلك لمجموعة الأفعال والتّصرفات التي تتميز بالمبالغة في استعمال القوّة العضلية واستعمال الأسلحة أو صفة لعلاقة عدوانية حادة، وأخيرا صفة التعامل بالعنف كالإرغام والقهر عن طريق القوّة"(Dictionnaire encyclopédie, Larousse, tome 10, p 107).

ومعنى ذلك أنّ العنف يرادف كل حالة شعورية تتداعى فيها إلى نفسية الفرد مفاهيم أخرى مرافقة للعنف، وتعتبر مؤشرات خاصّة به، ويتعلق الأمر بالكره والعدوانية والإندفاع والقساوة، وكلها مفاهيم تسبح في الحقل الدلالي لمفهوم كلمة العنف، وتدعم معانيها، وتقوي وقعها وصورتها الذّهنية.

وهو ذاته التّعريف الذي ورد في المعجم الفلسفي لـ "جميل صليبة"، إذ أشار فيه إلى أنّ العنف في جوهره مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة، والعنيف هو المتّصف بالعنف، فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج فهو بمعنى ما فعل العنيف(جميل صليبة، المعجم الفلسفي، ، ص112.).

يتقاطع في هذا مع ما ذكره "أحمد زكي بدوي" في "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" إذ جعل العنف مرادفا لاستخدام الضّبط أو القوّة استخداما غير مشروعا أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما"(أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص266)،وهو بذلك مفهوم مرادف

للإكراه، والشّدة والإرغام، وهو ما أكده "حسنين توفيق إبراهيم" إذ أضاف أنّ العنف يرادف في معناه "كلّ سلوك يتضمّن معاني الشدّة والقسوة والتّوبيخ واللّوم والتّقريح"(حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية،ص400).

إنها ذاتها المعاني التي تحملها كلمة violence في اللغة الفرنسية، والتي تدل على الإفراط في استخدام القوّة، وتستعمل في عدة مواقف، للإشارة مثلا إلى "فعل عنيف،أو مشاعر عنيفة، أو فيلم عنيف..."(جليل وديع شكور، العنف والمدرسة، الدار العربية للعلوم، ص 63) ،وكلها معان وتعريفات تؤكد في جوهرها المعنى السلبي لكلمة العنف.le sens négatif du mot violence

كثيرا ما يتصادم الخلاف في شأن الفرق بين العدوان والعنف، والحقيقة أنهما وجهان لعملة واحدة وهي الاعتداء وإلحاق الضرر بالآخر، فالعدوان "هو سلوك مقصود يستهدف إلحاق الضرر أو الأذى بالغير"(جليل وديع شكور، العنف والمدرسة، الدار العربية للعلوم، ص 63)، وقد ينتج عن العدوان أذى يصيب إنسانا أو حيوانا كما قد ينتج عنه تحطيم للأشياء أو الممتلكات، ويكون الدافع وراء العدوان دافعا ذاتيا.

وقد يستخدم بعض الباحثين كل من مفهوم العدوان والعنف بوصفهما مترادفين لكن العلاقة بينهما علاقة العام بالخاص، فالعدوان يعرف بأنه سلوك يصدر عن طرف صوب طرف آخر أو صوب الذات يترتب عليه إلحاق أذى بدني أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر، وفي ضوء هذا يعد العدوان أكثر عمومية ويتضمّن جانبا لفظي وبدني وكذلك قد يكون إيجابيا أو سلبيا في حين أنّ العنف يعد شكلا من أشكال العدوان، ولذلك يمكن القول بأن كلّ عنف يعد عدوانا ولكن ليس كل عدوان يعد عنفا بالضّرورة.(Fitzhugh Dodson, tout se joue avant six ans, p 213)

إنها تقريبا نفس الدّلالات التي يحملها المعنى الاصطلاحي لكلمة العنف، حيث وردت في هذا الشأن العديد من التّعريفات، والتي تفرعت بدورها حسب العلوم والتّخصّصات، ومن جملة ما رأيناه شاملا في هذا الشأن كون العنف

مرادفا لاستخدام القوّة الجسدية أو الرمزية من أجل فرض القدرة على فرد، أو جماعة تتجاوز المعيار المقبول اجتماعيا(جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجية العنفص15).

تتحدد أهمية هذا التّعريف في كون معناه الضمني قد ورد في العديد من الفروع العلمية، مع تشبّع كل واحد منها بخصوصية كل علم، ومن جملة ما وجدناه في هذا الصّدد، التّعريفات التّالية :

ب- التّعريف السيكولوجي للعنف: ورد في خضم هذا التّعريف مفهوم خاص للعنف، ركّز فيه أصحابه على العوامل النّفسية والتّفاعلية المحدثة له، والمجسدة لمظاهره، وفي هذا الإطار، نجد أنّ العنف يتطابق مع كل سلوك يورّث فهو إذن سلوك مكتسب، يتعلّمه المرء أو يعايشه في خلال حياته وبخاصة في مرحلة الطفولة، فإن مورس عليه العنف سابقا، وفي المراحل الأولى من حياته، فهو في الغالب سيمارسه لاحقا مع غيره من الناس وحتى مع عناصر الطبيعة، نباتا كان أو حيوانا" (عبد الرحمان محمد عيسوي، علم النفس الجنائي أسسه وتطبيقاته العلميةص218)، وهنا يكون العنف وفق هذا المنظور نتيجة حتمية للتجربة النفسية والاجتماعية للجماعة البشرية، وكلما زاد نطاق حدة هذه التجربة، أدى ذلك إلى تعاظم نسبة السلوكات العنيفة المثبتة لها.

وهنا، تعمق "ف. دودسن "f.Dodson في مظاهر هذا السلوك النفسي الاجتماعي، لا سيما بعد أن عرف العنف بكونه: "شعور بالغضب أو العدوانية يتجسد بأفعال دامية جسديا أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر" (رشاد علي عبد العزيز موسى، ود. زينب بنت محمد زين العايش، سيكولوجية العنف ضد الأطفال، ص14) مشيرا في هذا التّعريف إلى مختلف نتائجه السلبية، لا سيما بعد أن يتجاوز الشعور مرحلة الإحساس الداخلي إلى التجسيد الخارجي (السلوكي) وتنجر عنه مظاهر خارجية حددها في الأفعال الدامية والتدميرية، ومن شأن هذا التّعريف أن يؤكد خطورة العنف، ويدعم في ذات الوقت دلالاته السلبية.

أما حسنين توفيق إبراهيم فيقول: "إن العنف ظاهرة مركبة لها جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وهو ظاهرة عامة تعرفها كل المجتمعات بدرجات متفاوتة" (رشاد علي عبد العزيز موسى، ود. زينب بنت محمد زين العايش، سيكولوجية العنف ضد الأطفال، ص14)، وتعد ظاهرة العنف عرضا معتلا أو مرضا Symptôme أو صيحة إنذار أو رسالة خطر، على المجتمع أن يحسن قراءتها، ولفهم ظاهرة العنف يجب مراعاة دوافعها الكامنة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التّطرف." (Nicole Tremoulet, « vers une approche psycologique de certaines formes de violence contompoaine », p104.).

فالعنف هنا هو كل فعل ظاهر أو مستتر، مباشر أو غير مباشر، مادي أو معنوي، لإلحاق الأذى بالنّفس أو بالآخر أو بالآخرين سواء كانوا الأقارب أو من غير الأقارب(مصطفى عمر التير، العنف العائلي، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، ص15-16).

ويعد في الوقت ذاته وسيلة من وسائل التّعبير النّفسي، وتحقيق القدرة وتأكيد الذات عندما يفقد الفرد الشعور بالأمان والإحباط وتدهور القيم الاجتماعية نتيجة لغياب قيم العدالة وامتهان الذات وفقدان الاعتبار وغياب السلطة الضابطة للسلوك، وهو بذلك مظهر من مظاهر الصراع، وهو يتدرج من صراع بسيط إلى صراع عنيف، وقد يتطور العنف فيبدأ باللطم على الوجه والسب والضرب وينتهي بالقتل أو الشروع فيه(أحمد جلال عز الدين، الارهاب والعنف السياسي، ص322.).

وعليه يمكن القول بأنّ العنف من هذا المنظور هو استخدام القوّة بطريقة تعسفية اتجاه شخص لدينا الحقّ أو السيادة عليه" كما أنّه سلوك عدواني واجتماعي فهو متعلّم في أغلبه، ذلك لأن صاحبه يتأثّر بسلوك الآخرين و تصرفاتهم و اتجاهاتهم، لاسيما وأنّ التّعلم عملية اجتماعية يكتسبها الإنسان الذي هو كائن اجتماعي بدوره، لذا فإن تفسير العنف، يقضي الاهتمام به في ضوء البيئة الاجتماعية والثّقافية الّتي ينبع منها الفعل العدواني.

جـ-التّعريف القانوني:يعرف القانون العنف بكونه:" الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي والبدني، ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية"(عبد الله سليمان، قانون العقوبات القسم الخاص، ص162)وهو ذاته التّعريف الذي ينزاح له أحمد جلال عز الدين العنف من خلال إشارته أنه يطابق:" الاستخدام الإنساني للقوّة بغرض إرغام الغير وإخافته وإرهابه، أو التّوجه إلى الأشياء بتدميرها أو إفسادها أو الاستيلاء عليها، ذلك الاستخدام الذي يكون دائما غير مشروع ويشكل في الأصل جريمة."(محمد أحمد خطاب، مدى فاعلية برنامج سيكولوجي درامي للتخفيف من حدة سلوك العنف لدى عينة من الاطفال المتخلفين عقليا، ص98.) ويتفق معه محمد أحمد خطاب فيقول بأنه-العنف- "استخدام الضّغط أو القوّة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون"(محمد فتحي عيد، الإجرام المعاصر، ص58)، وتتّفق كل هذه التّعريفات في إشارتها إلى كون العنف من منظور القانون صنفا من أصناف إلحاق الضّرر بالآخر من خلال ممارسة سلوكات خارج نطاق الشرع والقانون، في حق شخص معنوي أو مادي .

د- التّعريف السّوسيولوجي للعنف :

يميز علم الاجتماع بين الأفعال العنيفة، وأفعال العنف، فالعنف صفة والفعل العنيف هو ما يتّصف بهذه الصفة، كما إن فعل العنف من ناحية أخرى فعل ينتمي إلى فئة معيّنة أو نمط من الأفعال لا تتساوى في المدى مع الأفعال العنيفة."(فاتن محمد شريف، دراسا في الانتروبولوجيا الاجتماعية، انتروبولوجيا الأسرة والقرابة، ص142).

ومعنى ذلك أن أي فعل يقوم به الإنسان يمكن أن يؤدى بعنف، فاقتحام شخص لإحدى المخازن بوسيلة غير مشروعة، أو قيام آخر بتجريد حديقة من الأشجار تعد من الأعمال العنيفة، وحتى تحريك فنجان الشّاي يمكن أن يتم بعنف، ونستطيع القول أن الفعل العنيف هو أي فعل تستمد خصائصه من الكلمات المأخوذة من مقدمة العنف كما في موسوعة Reget والتي هي "الصّرامة والتّهديد والضّجيج والعصيان والشّجار والضّوضاء

والشّدة والقوّة والتّهور والغضب والانفجار" (فاتن محمد شريف، دراسا في الانتروبولوجيا الاجتماعية، انتروبولوجيا الأسرة والقرابة، ص142).

ويتخذ العنف، حسب "دافيد لان "Davis lain مظهرين أحدهما بدني والآخر سلبي، العنف البدني هو الاعتداء، وقد يصل إلى القتل، أما العنف السلبي فيدور في صور الاستغلال والكبت والإذلال وقد ينشأ عنه العنف البدني.

ويؤكد "بيرو" ذلك في المعجم العلمي للعلوم الاجتماعية، حيث يعرف العنف باعتباره يحدث كلما لجأ شخص أو جماعة ذات قوّة إلى استخدام الضّغط لإرغام الآخرين ماديا على اتخاذ مواقف لا يريدونها أو سلب حقّهم في الحياة وممارسة حريتهم. (فليب برنو وآخرون، المجتمع والعنف، ص141)

هذا، وتعتبر الدّراسات النفسية العنف استجابة سلوكية تتميز بصبغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، ويمكن أن يحدث العنف كرد فعل أو استجابة لعنف قائم وهو العنف المضاد(سعد المغربيالمجلة الولية للعلوم الاجتماعية العدد37، ص124).

وعليه يمكن تعريف العنف بوصفه " صورة خاصّة من صور القوّة التي تتضمّن جهودا تستهدف تدمير أو إيذاء موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي أو محتمل من مصادر الإحباط أو لخطر أو كمركز لهما" (عزت سيد اسماعيل، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، ص118) ، فالعنف يتضمن فعلا عدوانيا واضحا يستهدف التدمير والتخريب(عزت سيد اسماعيل، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، ص118).

وعليه يمكن استخلاص تعريف للعنف مفاده أنّه ذلك السّلوك الذي يلجأ إليه فرد أو بعض الأفراد اتجاه الآخرين بقصد إلحاق الأذى والضرر بهم، سواء كان ماديا أو معنويا، وهو تصرف ناتج عن غياب لغة التّحاور الحضاري بين طرفين ويكون الهدف من وراء ممارسة العنف، الإكراه والإرغام والإذلال والسّيطرة، وقد يكون العنف إيجابيا عندما يتخذ منه كوسيلة أو أداة للدّفاع عن النّفس ومحاولة استرجاع الحقوق المهضومة .

ثالثا، تأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال

قبل الحديث عن تأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال، وقبل سرد مختلف التّوجهات والنّظريات الفكرية المنصبّة في عمق هذا الموضوع بالذّات، لابد أولا، وكضرورة منهجية من تسليط الضوء على الطفل والطفولة، وخصائصه النّفسية والاجتماعية، وهي الانطلاقة التي ستسمح لنا فيما بعد بحصر مختلف العوامل والأسباب التي تجعل هذه الفئة أكثر تأثرا بالعنف التّلفزيوني، وهنا يدور محور الخطر، حيث أنّ البرامج التّلفزيونية بشكل عام، والتّلفزيون كصورة وصوت وحركة على نحو التّحديد أكثر المتغيّرات تدخلا في التّنشئة النّفسية والاجتماعية للطّفل، وحينما يتم المساس بهذا العامل، فإنّ المجتمع كله سيصبح رهين الصّورة والصّوت، وهنا، تزداد دائرة الخطر توسّعا.

فكلمة الطفل " لغة" اشتقت من الفعل الثلاثي "طفل"، وتعني النّبات الرخص، وقد أخذ المعجم الوسيط هذه الدّلالة، ليستند عليها في تعريفه لهذا الأخير، إذ أشار إلى أنّه ذلك المولود ما دام ناعما رخصا، وهو الولد حتى البلوغ، وهو المفرد المذكّر، وجمعه " أطفال"(السيد رمضان، مدخل إلى رعاية الأسرة والطفولة، ص296.).

أما اصطلاحا، فيعرف الطّفل بكونه ذلك الكائن البشري الذي يعيش طوال مرحلة الطّفولة، وتعرف هذه الأخيرة بكونها المرحلة من الميلاد إلى غاية البلوغ، وتعد من أهم مراحل التّكوين ونمو الشّخصية، وهي في ذات الوقت مجال لإعداد وتدريب الشّخص للقيام بالدّور المطلوب منه في الحياة، ولما كانت وظيفة الانسان هي أكبر وظيفة، إذ أوكل إليه أعظم دور في الحياة، اقتضت طفولته مدة أطول، ليحسن إعداده وتربيته للمستقبل، ومن هنا، تنبثق أهمية التّنشئة النّفسية والاجتماعية السّليمة له في الحياة .

وقد أورد " لونقمان LONGMAN"تعريفا خاصّا بالطّفل، يشير فيه إلى أنه الشّخص صغير السّن منذ ولادته، حتى بلوغه سن الرابعة عشر، أو الخامسة عشر، وهو الابن أو الابنة في أية مرحلة سنية، كما يعرف الطّفولة

على أنها المرحلة الزّمنية التي تمر بالشّخص عندما يكون طفلا(صباح حنا ويوسف حنا، دراسات في سيكولوجية النمو، ص478.)

هذا، وينطوي مفهوم الطّفل في علم النّفس على معنيين، معنى عام يطلق على الأفراد من سنّ الولادة حتى النضج الجنسي، ومعنى خاص، يطلق على الأعمار فوق سن المهد وحتى المراهقة، ولعلماء الاجتماع تعريفا مشابها خاصا بهذه الشّريحة الاجتماعية، يتحدد في أن الطّفل تلك الفترة المبكرة من الحياة الإنسانية، الّتي يعتمد فيها الفرد على والديه اعتمادا كليّا فيما يحفظ حياته، ففيما يتعلّم ويتمرّن للفترة التي تليها، وهي المرحلة التي تعتبر جسرا للانتقال فيما بعد إلى النّضج الفيزيولوجي والعقلي والنّفسي والاجتماعي والخلقي والروحي وتتشكّل من هذا النّضج حياته ككائن اجتماعي.

و الجدير بالذّكر أن علماء النّفس يتّفقون على تقسيم هذه المرحلة تقسيما ثابتا فيعضهم قسمها إلى مراحل ثلاثة هي: (د. طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، ص20)

أ- من مولد الطّفل إلى سنتين ونصف.

ب- من سنتين ونصف إلى سبع سنوات

ت- من سبع سنوات إلى 11 سنة أو 12 سنة.

وبعضها صنفها إلى أربع مراحل:

-1من الولادة إلى نهاية السّنة الأولى

-2من السّنة الثانية إلى السّنة الثالثة

-3من السّنة الثالثة إلى السّنة السابعة

-4من السّنة السابعة إلى الثانية عشر

ومهما كان فإنّ كل مرحلة من هذه المراحل تتميّز بمميّزات خاصّة شديدة الصّلة بسابقاتها ولاحقاتها فكل منها تعتبر مقدمة للتي تليها، فالطّفولة إذن تشكل في ميدان التّربية وعلم النّفس موضوعا أساسيا جديرا بالتحليل

والدراسة ذلك أن الطفولة تكون عادية سوية، كما تكون متأخرة أو صعبة أو معوقة، جانحة أو قاصرة.

فالطفل من هذا المنظور يشكل محورا أساسيا من محاور الدراسات النفسية والتربوية وموضوع الأبحاث النظرية والتجريبية في ميدان التعليم علية تنصب اهتمامات المربين، وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأطباء والخبراء والآباء والمخططين .

ولكل مرحلة من المراحل السابقة الذكر خصائص تميزها، وفي هذا الصدد بالذات، أوجز علماء النفس والاجتماع مجموعة منها، يمكن تصنيفها كما يلي(35):

الخصائص العقلية: وتنقسم بدورها إلى مجموعة من السمات الفرعية، تتحدد فيما يلي :

أولا، الواقعية عند الطفل: يقصد بها أن الطفل يعيش بواقعية خاصة، تختلف تماما عن واقعية الكبار، وهي واقعية تتمركز على الذات، وتبتعد عن الموضوعية، وذلك لعدم قدرة الطفل على التمييز بين الموضوعي والذاتي، لذا، يميل الطفل في هذه المرحلة إلى المزج بين الأحلام والواقع، وإسقاط مشاعره وأحاسيسه في كل ما يراه حوله، ويعتمد في تفكيره على الإلهام، كما يدرك العالم من منظوره الخاص، ولا يستطيع إدراك الزمن، ويعتمد على حواسه.

ثانيا، حب الاستطلاع: يتميز المنو العقلي للطفل في هذه المرحلة بحب الاستطلاع، فيكتسب خبرات ومعلومات من العالم الخارجي من خلال استعمال الحواس وربطها ببعضها البعض، مثل : اللمس، النظر والسمع.

ثالثا، الإحيائية وخصوبة الخيال والميل إلى التفكيك والتركيب: ويكمن جوهر الخاصية في إعطاء الأشياء والكائنات من حوله صفة الحياة، وكأنها تحس وتشعر وتفرح وتحزن وتتألم، مثلما يحس ويشعر ويفرح ويتألم ، كما يعتقد أن الأشياء من حوله إرادة ورغبة. ويتجاوز بخصوبة خياله حدود الزمان

والمكان، مما يجعله ينسج لنفسه عالما آخر مليئا بالسحر، وإشباع الحاجات والرغبات.

الخصائص الجسمية: وهي بدورها تتمثل في سرعة النمو الجسمي والحركي: حيث ينمو الطفل سريعا في الفترة الأولى من حياته، ثم تقل سرعة النمو في المراحل الموالية، ويكون الطفل سريع الحركة والنشاط، والحيوية، وسريع الاستجابة لأي مثير خارجي، تتميز هذه الاستجابات الانعكاسية السريعة بالاضطراب وعدم الاتساق، إلى أن تصل مع النضج إلى حالة التوازن.

الخصائص الانفعالية في مرحلة ما قبل المدرسة: وتتحدد هذه الأخيرة في تعرض الطفل لأزمات حادة ونوبات غضب شديدة، لأن هذه الفترة تتميز بكونها فترة قلق وصراع انفعالي داخلي عميق، يميل الطفل في هذه المرحلة إلى العناد والإصرار على الرأي.

إضافة إلى ما سبق ذكره، يتميز الطفل بمجموعة من الخصائص الانفعالية، يمكن إجمالها فيما يلي:

1. سرعة الاستجابة لمختلف المثيرات: فالطفل في هذه المرحلة يتميز بسرعة فائقة وعفوية في الاستجابة لمختلف المثيرات والمؤثرات البيئية المحيطة به، من صوت، ضوء، حركة ولمس.
2. كثرة الانفعالات وسرعتها: يتميز الطفل في هذه المرحلة بسرعة انفعالاته، وغضبه وثورته العارمة التي سرعان ما تنطفئ ليعود مرة أخرى إلى حالته الطبيعية من الهدوء والاستقرار، وتتحكم في ذلك جمله من العوامل الداخلية المتحددة في الطاقة الزائدة، والكامنة في الطفل، والتي تجعله شديد التأثر بمن حوله باستمرار، ونجد منها عوامل أخرى خارجية مثل معاملة الوالدين، وسلوك الكبار، وطبيعة المحيط الخارجي.
3. الخوف: ويعد من أهم المظاهر الانفعالية في هذه المرحلة، تختلف طبيعة هذه الأخيرة، وانعكاساتها على الطفل، فإذا كانت مخاوف طبيعية، فإنها تحقق وظيفة صحية بالنسبة للطفل، أما إذا كانت غير طبيعية، فإنها

تؤثر بشكل كبير على شخصية هذا الأخير حيث تعوق عملية غرس الاستقلالية والاعتماد على النفس.

الخصائص الاجتماعية للطفل: إنها جملة من الخصائص يتميز بها هذا الأخير في مرحلة، ومن مظاهرها سعي الطفل على تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، وتفضيل اللعب مع فئات قليلة، ويحب الظهور.

تشكل كل هذه العوامل، أرضية خصبة لتأثير العنف التّلفزيوني على الطفل، وتؤكد في ذات الوقت، خطورة هذا التأثير، لأن المساس بالطفل، لا يقف عند حدود التأثيرات الأولى، بل يتعدى ذلك إلى أن تترسخ النتائج السلبية لهذا التأثير على التّنشئة الاجتماعية للطفل، وحينما نمس بهذه الأخيرة، فإن جميع عناصر المجتمع، لا بل مستقبله، سوف يتداعى لها مستقبل هذا الأخير بالخلل و الانهيار .

إنها، من سلسلة الأسباب التي دفعت بالعديد من الباحثين في هذا المجال، إلى التعمق في سياق التأثير، ومظاهره، والعوامل التي تحدثه، وكذا التأثيرات الجانبية له، لا سيما بعد تنامي المعدلات المؤكدة لاستمرارية هذا الأخير، وتوازي هذه الظاهرة، وتطور التّلفزيون، وتطور برامجه، وتسلل هذا الأخير إلى سياق الحياة اليومية للأسرة، ودخولها في نسق اهتماماتها، وتحول المشاهدة التّلفزيونية مع السيطرة الرمزية لثلاثية " الصورة، الحركة والصوت" إلى طقس من الطقوس اليومية، وهنا، يكمن محور الخطر، حيث أن الأسرة تشكل عماد التّنشئة الاجتماعية للطفل، وحينما تتغير سلوكاتها وعاداتها وتقاليدها، فإن تنشئة المجتمع كله تتغير.

ولعل أهم الدلائل المثبتة لهذه الفكرة ما أشار إليه " هيملويت " " Himmelweit"، أبونهايم " Oppenheim " "و" فنس " vince حيث أكدا أن هنالك علاقة وطيدة بين تنامي العنف في سلوك الأطفال، ومعدلات برامج العنف التي يبثها التّلفزيون،وتؤكد الدراسة ذاتها أن تنامي العنف وثيق الصلة باحتلال العنف ما يقدر ب 20 بالمائة من البرامج التّلفزيونية التي تحتل بثها أثناء ذروة المشاهدة(عاطف عدلي العبد، الاتصال و الرأي العام،ص 208)

وهي ذاتها الفكرة التي أشار إليها " لابيرت " Libert "إلى أن هنالك درجة ملحوظة من الاتفاق على وجود ارتباط بين العنف والمشاهدة، والسلوك العدواني عند الأطفال، فالدراسات العلمية أظهرت جميعها أن التعرض للتلفزيون يمكن أن يجعل المشاهد أكثر عدوانية(محمد قيراط، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20،ص20).

في ذات السياق، أكدت دراسات أخرى، ومن بينها دراسة :" كابان وموس " " Kagan et Mossأن التّلفزيون بشكل عام، وبرامج العنف على نحو التحديد لا تؤثر بشكل مباشر، بل على وتيرة خاصة أسماها ب " التأثير النائم"، وتعني هذه الفكرة أنه قد يكون هنالك مؤثرات معينة أحدثت تأثيرها على الطفل، لكن نتائج هذا التأثير لا تظهر لنا مباشرة، بل يظل نائما لفترة طويلة لتنتظر عوامل خارجية أو داخلية في الطفل لتوقظه حتى يظهر مثل هذا التأثير في مرحلة المراهقة أو البلوغ(عاطف عدلي العبد، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20، ص 208.).

ومن شأن هذا أن يتوافق مع ما أشار إليه " بيير بورديو Pierre Bourdieu " في شأن العنف الرمزي، حيث أشار إلى أن التّلفزيون يمارس تأثيرا رمزيا على المتلقي، من خلال نسق من الصور والعلامات السمعية البصرية التي تقتحم مجال الإدراك البشري، وتسيطر على الفكر والخيال، وتتحكم فيما بعد في سلسلة التمثلات الثقافية والاجتماعية للمتلقي، وهو ما اسماه هذا المفكر ب" العنف الرمزي "violence symbolique" "la "ويصنف ضمن أخطر درجات العنف، إذ يشكل خطرا كبيرا على مجالات عدة وثيقة الصلة بتمثلات المجتمع، ومجالات علاماته، الثقافية منها والفنية، العلمية، الفلسفية، وحتى السياسية والإيديولوجية(http:// www.elyahyaoui.org ,/Bourdieu .htm,Rabat,20 avril 2006 ,Yahya El Yahyaoui,sur la télévision, consulté le 25 .(decembre2013 a 16h

والجدير بالذكر أن السلبية من المؤشرات القوية لظاهرة العنف الرمزي للتلفزيون، حيث يتعامل المتلقي مع مؤثرات عدة تخترقه، ولا يستطيع أن

يحرك حيالها ساكنا، وهي بالتأكيد من الصفات الأساسية للتلفزيون فهو يساعد على السلبية، حيث أن المتلقي غير مشارك بأفكاره، أو إبداعاته، تجاه هذه الوسيلة فهو متلقون سلبيون، ويعتبرون التّلفزيون ضيفا يقتحم كل منزل دون أن يتحصل على الإذن من أصحابه.

كثيرة هي المقاربات التي أعطيت في شأن العلاقة بين العنف التّلفزيوني والأطفال، لا سيما وأن هذه الظاهرة قد تنامت مع هذه الفئة، ليست فقط كوسيلة تعبيرية، أو دفاعية، بل كخاصية أساسية وثيقة بسلوكاتهم اليومية، وهي الظاهرة التي تنامت مع تنامي وسائل الإعلام والاتصال، وازدياد معدل تعرض هذه الشريحة لبرامج العنف التّلفزيونية، الشيء الذي استدعى تنامي الدراسات والمقاربات النظرية في هذا الشأن، ومن بين أهمها نجد:

أ-المقاربات النظرية في شأن تأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال: لا يكتمل الحديث عن نظريات الإعلام دون التعرض إلى النظريات التي تعالج ما يبثه التّلفزيون على وجه الخصوص، من برامج تتسم بالعنف، و تعنى هذه النظريات بالآثار التي قد تنعكس على المشاهدين المتلقين للرسالة الإعلامية، و خاصة الأطفال، نتيجة مشاهدتهم برامج العنف في التّلفزيون.

و تأتي أهمية هذا التوجه حين نرى أن حوالي (80%) من البرامج التي يبثها التّلفزيون في بلد كالولايات المتحدة الأمريكية يتصف بالعنف. لهذا السبب بالذات، أبدى العديد من رجال التربية و علم الاجتماع و علم النفس قلقهم إزاء هذه البرامج، فظهرت دراسات مختلفة عن الموضوع، كانت محصلتها النظريات التالية التي تفسر الآثار التي تتركها المشاهدة على الجمهور(نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ص257)

- نظرية التنفيس -التطهير: تشير بعض الدراسات أن عرض المشاهد العدوانية في التّلفزيون خاصة عندما تكون وهمية أو ترفيهية، تساهم في عملية التنفيس أو ما يكمن تسميتها بنظرية التطهير (Catharsis)تعتمد هذه النظرية مبدأ تطهير العواطف و المشاعر عبر التجربة غير المباشرة (عاطف عدلي العبد، الاتصال و الرأي العام، ص 208.).

ومفاد هذا أن التعرض للعنف في التّلفزيون يقلل من حاجة الإنسان إلى العدوان، لذا فالفكرة الأساسية فيها أنه إذا أحس شخص بالعطش، و شرب جرعة كبيرة من الماء فإنه لا بد أن تمضي عدة ساعات قبل أن يحس بالرغبة في الشرب مرة أخرى، ذلك أن حاجته إلى الماء قد أشبعت.

ووفق هذا المنظور، يسلم أصحاب هذه النظرية أن مشاهدة أفلام العنف على التلفاز تسمح للمشاهد بتصريف إحباطاته من خلال المعايشة الخيالية بدلا من الممارسة الواقعية، كما تقوم فكرة التطهير التي تفترض أن الإحباط و الظلم يولد الميل نحو العدوان عند الفرد و يكمن إشباع هذا الميل بالعدوان المباشر أو بمشاهدة الآخرين يرتكبون الجرائم و يقومون بالعدوان.

فالتعرض لأعمال العنف في وسائل الإعلام- التّلفزيون- يمكن أن يخفض من حاجة الإنسان إلى العنف(محمد قيراط، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20،ص20) حيث تعمل هذه المشاهدة –العنف- كصمام أمان يصرف الإحباط و الشعور بالعداء، و تكون نتيجتها مماثلة للكمات يوجهها المرء لكيس مملوء بالهواء(عاطف عدلي العبد، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20، ص 208). إن تطهير النفس من ميول العنف- كما تذهب إلى ذلك هذه النظرية- أمر مفيد خاصة لشرائح الدنيا. أكثر من الشرائح الأخرى التي تستفيد من العلاقات الاجتماعية و وسائل التّنشئة الاجتماعية لمواجهة الإحباطات(عاطف عدلي العبد، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20، ص 208).

- نظرية إثارة الحوافز العدوانية: ترى هذه النظرية أن مشاهدة العنف على التلفاز ترفع من حدة الإثارة النفسية و العاطفية عند المتلقي، ويؤدي هذا إلى احتمال حدوث السلوك العدواني، و تحدد النظرية مجموعة من العوامل تقرر مستوى الاستجابة العدوانية، منها :" مستوى الإحباط الذي يشعر به المرء الذي يشاهد التّلفزيون، و مسوغات العدوان كما تقدمها البرامج المختلفة، ثم مدى التشابه بين خبرة المرء الواقعية و العنف المتلفز."

- نظرية التعلم من خلال الملاحظة: تعتبر نظرية التعلم بالملاحظة أو من خلال وسائل المحاكاة Social Learning through imitation أهم نظريات

التعلم التي تسعى لتفسير اكتساب الأنماط السلوكية من المحتوى الذّي تعرضه وسائل الإعلام بصفة عامّة والتّلفزيون على وجه الخصوص، والتي قدّمها ألبرت باندورا A.Bandura وزملاؤه منذ بداية الستينات.

تناولت النظرية بالتحديد عملية الاقتداء بالنماذج التي يعرضها التّلفزيون والتي يمكن أن يكون لها تأثيرا كبيرا في اكتساب الأنماط السلوكية، لقد رأى باندورا أنّ الأطفال والبالغين يكتسبون الاتجاهات والاستجابات العاطفية والأنماط الجديدة من خلال النماذج التي تعرض في الأفلام والتّلفزيون، وقد حذّر من أنّ التّلفزيون يشكل صورة للعنف، تؤدي إلى تأكيد العنف وعدم الإحساس بالأمن عند الأفراد المتلقين(خليل قطب أبو قرة، سيكولوجية العدوان، ص119) ذلك أنّ الافتراض الأساسي هو أنّ النّاس يمكنهم تعلم العنف من خلال ملاحظة طريقة تقديمه في مضامين وسائل الإعلام(مرفت الطرابيشي وعبد العزيز السيد، نظريات الاتصال، ص294.)، والاكتفاء باقتداء النماذج على اعتبار أنّ ذلك يشكل مكافأة في حدّ ذاتها، وعدم الحاجة إلى دعم خارجي لتعزيز التعلم من خلال المحاكاة، وهذا ما يتفق مع مفهوم التوحد Identificationوالذي يتّم فيه نسخ النموذج، ومحاولة التشبه به في الكثير من الخصائص.

تشير هذه النظرية أن معظم السلوك العدواني متعلم من خلال الملاحظة والتقليد، حيث يتعلم الأطفال السلوك العدواني بملاحظة نماذج وأمثلة من السلوك العدواني يقدمها أفراد العائلة والأصدقاء والمعارف والأفراد الراشدون في بيئة الطفل، وهناك ثلاث مصادر يتعلم منها الطفل بالملاحظة وهي التأثير الأسري وتأثير الأقران وتأثير النماذج الرمزية كالتّلفزيون(خليل قطب أبو قرة، سيكولوجية العدوان، ص119).

و تقدم بذلك تفسيرا حول ما يتعلق بالمتلقي في عملية البناء الاجتماعي للحقائق والوقائع التي تقوم بها وسائل الإعلام، فهي تُعدّ المعاني وتنشرها، والمتلقي يكتسبها ويتأثر بها في أنماطه السلوكية.

يتلخص جوهر هذه النظرية في أن الأفراد يستطيعون تعلم السلوك العدواني من خلال مشاهدة التّلفزيون بتنميط سلوكياتهم حسب سلوكيات الشخصيات التي تعرضها برامج العنف. كما أن استمرار التعرض للعنف يعمل على تصليب و تقسية عواطف المشاهد بما يمنعه من الشعور بالألم و المعاناة، و يقود بالتالي إلى ممارسة العنف كأسلوب حياة ناجح لمواجهة المشاكل الاجتماعية و النفسية التي قد تعترضه .

و هكذا فإن برامج العنف و عبر ما تتيحه من فرص أمام المشاهد لأن يتعلم من خلال التنميط و الملاحظة، تزيد احتمال حصول العدوان عند الجمهور المتلقي. و من العوامل التي تحدد تأثير برامج العنف على الناس هناك المكافأة التي يتوقع أن يجنيها الشخص الذي يمارس العنف، ثم مدى التشابه بين واقع الحياة و الوضع المعروض على التلفاز، و أخيرا حجم المعاضدة الاجتماعية التي سيحصل عليها من الآخرين نتيجة ممارسة العدوان.

- نظرية التعزيز: و ترى هذه النظرية أن العنف المتلفز يعزز أنماط السلوك الموجودة أصلا عند المشاهد، و التعزيز لا يعني احتمال زيادة العنف أو العدوانية عند ذلك المشاهد بل إنه يؤكد له صحة الاستنتاجات و الافتراضات التي توصل لها سابقا عن طبيعة الحياة و العنف، و بالتأكيد فإن المعايير و القيم و سمات الشخصية نفسها و تأثيرات المعارف و الاصدقاء تلعب جميعها دورا مهما في حجم التعزيز نفسه عند المشاهد(خليل قطب أبو قرة، سيكولوجية العدوان، ص119).

و على هذا فإن هذه النظرية ترى أن معظم المشاهدين للعنف لا يتأثرون به إلا تلك القلة التي يتصف أفرادها بعدم ثبات شخصيتهم فيحركهم العنف الذي يشاهدونه فيقلدونه و على العموم، فإن معظم الأبحاث التي قادت إلى هذه النظريات هي أبحاث أجريت في المختبر إلا أن الاهتمام الكبير الذي أثاره موضوع العنف بين الدارسين أدى إلى وجود عدد كبير من الأبحاث التي أجريت جميعها بهدف تحديد تأثيرات العنف على المشاهد و على الأطفال.

ب- الدراسات الميدانية المفسرة لتأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال:

يستدعي الحديث عن تأثير العنف التّلفزيوني على الأطفال، تسليط الضوء في ذات الوقت على الدراسات والبحوث الميدانية الاجنبية و العربية التي اهتمت من قريب أو بعيد بهذه الظاهرة، سواء على مستوى الرسالة التّلفزيونية أو الجمهور بشكل يصعب حصرها حاليا ، وبهذا فأن موضوع بحثنا يتوفر على تراث علمي كبير من الدراسات المشابهة او القريبة ، وسنكتفي هنا بعرض بعض الدراسات على سبيل المثال لا الحصر.

" -دراسة دينا ديب 1993 :

سعت هذه الدراسة الموسومة " اتجاهات الآباء حول العلاقة بين العنف التّلفزيوني والسلوك العدواني " إلى التعرف على آراء واتجاهات الآباء نحو العلاقة بين البرامج التّلفزيونية التي تعرض العنف وبين السلوك العدواني لأبنائهم من خلال دراسة ميدانية على الآباء ، وخلصت الدراسة إلى أن الآباء أكدوا وجود علاقة ايجابية بين مشاهدة العنف التّلفزيوني والسلوك العدواني لدى أبنائهم، وان الذكور أكثر محاكاة للسلوك العنيف الذي يشاهدونه من الإناث (خليل قطب أبو قرة، سيكولوجية العدوان، ص259).

-دراسة عدلي رضا 1994:

هدفت دراسة عدلي رضا الموسومة " السلوكيات التي يكتسبها الأطفال من المواد التّلفزيونية التي تعرض العنف في التّلفزيون " إلى التعرف على السلوكيات التي يتعلمها الأطفال من برامج العنف المعروضة في التّلفزيون من خلال دراسة ميدانية على عينة قوامها (200) مفردة من الآباء والأمهات وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر من نصف العينة تؤكد أن التّلفزيون مسئول عن اكتساب العنف من خلال المواد الدرامية الأجنبية ، إذ أكد 83% من أفراد العينة أنها أكثر المواد التّلفزيونية التي تساعد على نشر العنف لدى الأطفال (على أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا، 1993، ص 181)

-دراسة محمود حسن إسماعيل: (العنف في أفلام الرسوم المتحركة بالتّلفزيون واحتمالية عينة من أطفال ما قبل الدراسة 1990):

تم سحب عينة الدراسة التحليلية من أفلام الرسوم المتحركة المعروضة على القناة المصرية الأولى التي تعرض في دورة تلفزيونية تبدأ من أول يناير وتنتهي في آخر مارس 1995 ، وتم اختيار (15) طفلاً كعينة للدراسة جرى تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات . وقد بلغت المساحة الزمنية لأفلام الرسوم المتحركة (2 ، 3 %) من إجمالي إرسال القناة الأولى ، وظهر أن (40) من مشاهد الرسوم المتحركة تحتوي على نوع من العنف ، وهي نسبة عالية خاصة أن تلك المشاهد تستحوذ على انتباه الطفل أكثر من المشاهد الخالية من العنف وبالتالي لن تؤثر بشكل أكبر ، كما أن (2 ، 80 %) من المشاهد العنيفة تنطوي على عنف وأعمال خيالية ، بينما (8 ،19 %) فقط ينطوي على مشاهد واقعية ، وهذا يؤدي إلى تشويش صورة الواقع في ذهن الطفل الذي لا يستطيع التمييز بين صورة الواقع والواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام(شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، ص197).

- دراسة سوزان القليني وهبة السمري(شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، ص197):

(تأثير مشاهد العنف في أفلام الكارتون بالتّلفزيون المصري على الأطفال) 1992 ، جرت هذه الدراسة على عينة قوامها (300) طفل من القاهرة وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج منها :

- تبين أن الأطفال عينة الدراسة يفضلون أفلام العنف بشكل كبير.

- أكد (54،7 %) من أفراد العينة انهم لا يخافون من مشاهد العنف الكارتوني لإدراكهم انها مشاهد غير حقيقية ، بينما ذكرت النسبة الباقية أن ما يخيفهم في أفلام الكارتون ما يلي :

الشكل المخيف (4 ، 57 %) . الحجم المبالغ فيه (4 ، 18 %) . الأحداث العنيفة (7 ، 14).

- تبين أن (59 %) من العينة يحاكون أشكال العنف المختلفة المقدمة في أفلام الكارتون و (41 %) لا يقلدون مشاهد العنف.

- تبين أن التقليد عند الأطفال يزداد بزيادة السن ، فقد بلغت نسبة التقليد عند الأطفال من (6 – 8) سنوات (8 ، 28 %) وعند الأطفال من (8 – 10) سنوات (32،8 %) وعند الأطفال من (10 – 12) سنة (4،38 %). و أن (7 ، 49 %) يرغبون في مشاهدة مزيد من العنف في الأفلام ، مقابل (3 ، 50 %) من الأطفال لا يرغبون في مشاهدة مشاهد العنف.

- دراسة وينستون .ف :(تأثير مشاهد العنف والجريمة في برامج الأطفال على اتجاهاتهم نحو السلوكيات السلبية) 1997(شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، ص197)

جرت هذه الدراسة على عينة قوامها (216) حلقة من برامج الأطفال تم اختيارها من عدة قنوات أمريكية، وقد توصلت الدراسة الى عدة نتائج:

- أن (47 %) من برامج الأطفال عينة الدراسة تضمنت مشهداً على الأقل يتضمن أعمالاً اجرامية بدون تعرض مرتكبها لعقوبات م ما قد يشجع الطفل على تقليد هذه السلوكيات مستقبلاً.

- أن (56 %) من براج الأطفال في القنوات الفضائية تضمنت مشاهد فيها سلوكيات عنيفة مقابل 24 %)) من برامج الأطفال في القنوات الأرضية.

- حصلت المسلسلات الكارتونية على المرتبة الأولى من حيث المشاهد العنيفة التي لا تلقى عقاباً (67 ، 60%).

- دراسة سهير صالح إبراهيم: (تأثير الأفلام المقدمة في التّلفزيون على اتجاه الشباب المصري نحو العنف) 1997(Rocher (Guy), Introduction à la sociologie, le changement social, Paris, H.M.H, (tour3,1968,p326

هدفت هذه الدراسة إلى محاولة تحديد تأثير العنف المقدم على شاشة التّلفزيون على الشباب ، وكيف يمكن أن يكون العنف التّلفزيوني أداة) غرس) اتجاهات عدوانية لدى الشباب ، ويعلمهم طرقاً وأساليب عنيفة للتعامل في حياتهم الواقعية.

اعتمدت الباحثة على عينة قوامها أربعمائة من الشباب ، وتم تقسيم العينة طبقاً لمتغيرات النوع والسن والمستوى العلمي . وأثبتت نتائج تحليل مضمون الاستمارة التي أعدتها الباحثة وجود علاقة ارتباط بين معدل التعرض للعنف في الأفلام وتفضيل الشباب النزعة العدوانية في حل مشاكلهم . كما وجدت الباحثة علاقة ارتباط بين معدل التعرض للعنف في الأفلام وإدراك الواقع الاجتماعي المقدم في التّلفزيون اضافة إلى وجود علاقة بين كثافة التعرض للعنف في الأفلام التي يعرضها التّلفزيون والاتجاهات العدوانية لدى الشباب.

رابعا،مقاربة تأثير العنف التّلفزيوني على الطفل الجزائري سوسيولوجيا :

يعد الاقتراب السوسيولوجي كأحد الضروريات الهامة في الدراسة السوسيولوجية و نعني بالمقاربة السوسيولوجية أو المقاربة النظرية التي يندرج ضمنها موضوع الدراسة و ذلك بغية التفسير الواضح و الدقيق للظاهرة المدروسة ، كما يعمل على تزويدنا بالمفاهيم الأساسية التي يصب فيها بحثنا .

-1نظرية التغير الاجتماعي: وقد عرف "غي روشيه" التغير الاجتماعي بأنه "كل تحول لاحظ عبر الزمن بمس البناء أو سير النظام الاجتماعي لجماعة ما ويعدل المسار التاريخي بحيث لا يكون هذا التأثير مؤقت أو زائل(سناء الخولي، التغير الاجتماعي والتحديث، ص15).

وتعرف "سناء الخولي " التغير الاجتماعي بأنه ظهور الاختلاف يمكن ملاحظته في البناء الاجتماعي أو في الأداة المعروفة أو في المعدات أو الآلات التي لم تكن موجودة من قبل، بمعنى آخر يشير التغير الاجتماعي العملية التي تؤدي إلى

اختلاف الموضوع (نظام، نسق، قاعدة، قيمة أداة...) بالمقارنة بحالة سابقة له في مدى قريب أو بعيد(56).

وقد تم تبني هذه النظرية في عملنا هذا كونها تسمح لنا بربط الظاهرة المراد دراستها "العنف" بالتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري، وهذا على جميع الأصعدة، حيث انعكست هذه التغيرات على البُنى الاجتماعية والثقافية للمجتمع، مما ترتب عنها ظهور بقوّة قيم كانت منبوذة وغير محبذة وهذا ينطبق على السلوك الاجرامي ولانحرافي والعنيف الذي انتشر بقوّة في السنوات الأخيرة نتيجة للتغير الذي عرفه ولازال المجتمع الجزائري يعايشه، لا سيما مع اكتساح الفضائيات التّلفزيونية الاسر الجزائرية، واختراقها منظومة القيم والأدوار الاجتماعية.

وهنا، تحول التّلفزيون مع الوقت إلى أداة فعالة للتنشئة الاجتماعية للطفل، والتي عوضت بسيطرتها الرمزية العديد من المؤسسات التقليدية، وانجر عن ذلك التغيير في العادات والتقاليد والسلوكات، كما خلق التّلفزيون كمؤسسة رمزية منتجة للرموز والدلالات ما يمكن أن نسميه بتماهي المعاني واختلاطها أو تعتيمها في شأن العديد من القيم والمفاهيم، وانجر عن ذلك صعوبة ولوج الطفل إلى المعنى الحقيقي للأخلاق، التربية، اللعب وغيرها من أبسط مفاهيم الحياة، وهنا، لم يغير التّلفزيون التّنشئة الاجتماعية للطفل الجزائري – فحسب-،بل مس في الوقت ذاته، المخيال الاجتماعي لهذا الأخير، ومن شأن هذا التصادم بين القيم، أن يدفعه، إلى السلوك السلبي، والذي غرس بشكل آلي في شخصيته، مع تنامي مشاهدته للتلفزيون.

-2نظرية التفاعلية الرمزية : حيث يرجع الفضل في هذه النظرية إلى كتابات تشارلز كولي ، وجورج هربرت ميد، ورايت ميلز ، ومن أهم الأسس التي تقوم عليها هذه النظرية(57: (

-أن الحقيقة الاجتماعية، حقيقة عقلية تقوم على التخيل والتصور.

-التركيز على قدرة الفرد على الاتصال من خلال الرموز، وقدرته على تحميلها معان وأفكار ومعلومات يمكن نقلها لغيره.

وترى هذه النظرية أن تعرف الفرد على صورة ذاته يحدث من خلال تصور الآخرين له، ومن خلال تصوره لتصور الآخرين له ومن خلال شعور خاص بالفرد ، و تفاعله مع الآخرين وما تحمله تصرفاتهم واستجاباتهم لسلوكه كالاحترام والتقدير، وتفسيره لهذه التصرفات والاستجابات، فإنه يكون صورة لذاته، أي أن الآخرين مرآة يرى فيها نفسه. فكل من الأسرة و البرامج التّلفزيونية التي يتفاعل معها الفرد وخاصة الأطفال باستمرار قيما و معايرا أو اتجاهات خاصة بها يكتسبها الأطفال ويتعلمونها عن طريق الاندماج معها.

كما يرى أصحاب نظرية التفاعل أن العنف سلوك يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل الأفراد يتعلمون سلوك العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نمط أخر من أنماط السلوك الاجتماعي ، وهناك كثير من الأدلة التي تؤكد أن سلوك العنف يتم تعلمه عن طريق عملية التّنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة والبرامج التّلفزيونية . وقد يتم تعلم الأطفال لسلوك العنف بطريقة مباشرة عن طريق المثل أو القدوة التي تقدمها أعضاء الأسرة وكذا أبطال أو الشخصية الرئيسة في برامج الأطفال التّلفزيونية

وهنا، يمكن القول أن منطلق كل تغير اجتماعي هو تنشئة اجتماعية، ولا يمكن لهذه الأخيرة أن تتحقق في غنى عن " التفاعلية الرمزية" لأن هذه الأخيرة منطلق بلورة المعاني الاجتماعية انطلاقا من التفاعل الرمزي للطفل الجزائري مع مختلف المضامين التّلفزيونية المشبعة بالعناصر التأثيرية، وبما أن كل ما هو جديد مستحب لدى الطفل، فإن مختلف البرامج تثير فيه الغرابة والإثارة، ما يجعلها تقتحم بدوالها منظومته الإدراكية، ويتفاعل مع التعرض الدائم مع مختلف علاماتها، ومن هذا التفاعل ينتج التغيير، سواء في سلوكاته، أو عاداته، أو نمط تفكيره، أو شخصيته- بشكل عام-،وبداية كل تغيير اجتماعي تغيير نفسي، لأن الطفل المتعرض للبرامج التّلفزيونية، سوف يصبح مشبعا بمعانيها، وينعكس هذا التشبع في تفاعلاته النفسية والاجتماعية، ومع الوقت، سينجر عن هذا التفاعل ما يمكن تسميته بالتغيير الاجتماعي.

من زاوية أخرى، يمكن القول أنه، وعلى الرغم من اعتبار التّلفزيون أكثر وسائل الإعلام تأثيرا على الطفل إذ تحول إلى نافذته الأولى في الإطلالة على العالم، إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحول وضعه في قفص الاتهام والحكم المؤبد، حيث أن التّلفزيون ليس وحده العامل المساهم في تعميق العنف لدى الطفل، بل هنالك مجموعة من العوامل الأخرى، إذ اجتمعت مع التّلفزيون، فإن السلوك العنيف عنده سيكون أقوى وأخطر، ويمكن تلخيصها فيما يلي(58) :

- حجم الأسرة ونسبة التفاعل بين أعضائها

-المستوى الإقتصادي للأسرة

-المحيط الجغرافي والاجتماعي للطفل، ومؤسسات تنشئته الاجتماعية

-العمر وترتيب الطفل بين أخويه

-الحالات النفسية المختلفة مثل الحرمان، الإحباط، العزلة النفسية، الشعور بالنقص....

إنها جملة من العوامل التي يمكن أن تعمق خطر تأثير التّلفزيون على الأطفال، وتدعم فيه السلوكات العنيفة، لأنه إذا ما سلمنا بالسلبية المطلقة للتلفزيون ،سوف نبرئ عوامل أخرى هي المتهم الأول بإحداث هذا النمط من السلوك، وتصنف في قائمتها نمط تربية الوالدين، ونسبة الاتصال والتفاعل مع الأبناء، لأنه إذا ما تم تدعيم هاذين العنصرين، سوف يكون تأثير التّلفزيون أقل وقعا على سلوك الطفل، لأن هذا الأخير لن يحتاج إلى ساعات إضافية يقضيها أمام شاشة التّلفزيون لملء فراغ الوالدين.

خاتمة الدراسة وتوصياتها

وهنا، لا يصح أن نعزل الطفل عن التّلفزيون من خلال وضعه في صندوق مغلق، وإبعاد مفاتيحه عن الأطفال، بل الأصح أن نأخذ جملة من النقاط الحساسة بعين الإعتبار، والتي سوف تكون بدورها مراجعة هامة لنمط تعامل الأسرة وبقية المؤسسات المشروعة من الطفل من جهة، وعادات

مشاهدة التّلفزيون – من جهة أخرى-،وسوف يكون ذلك من خلال تبني جملة من التوصيات، والتي نراها قاعدة عامة لا بد لأسرة جزائرية أن تعززها في تنشئتها الاجتماعية للطفل، وهي كما يلي:

- تعزيز الاتصال والتفاعل بين الأطفال ومختلف أفراد مؤسسات التّنشئة الاجتماعية الرسمية، بدأ بالأسرة، وصولا إلى المدرسة ودور العبادة، لأن هذا الاتصال، يجعل الطفل واثقا بنفسه، مستعدا لاكتساب المعلومات، ليس فقط من التدفق التّلفزيوني، ولما لا تغيير مختلف المعاني السلبية في شأن تمثلات الطفل للعناصر، القيم والأشياء.

- تفادي وضع الطفل وحده منعزلا أمام التّلفزيون، لأن ذلك توغل المعاني السلبية إلى أفكاره، وهنا، لا بد من تشجيع الوالدين على مشاهدة التّلفزيون مع أطفالهم لتدعيم الاتصال، وتفادي احتلال هذه الوسيلة المرتبة الأولى في اهتماماتهم.

- عزل الطفل عن جهاز التحكم، لأن وضع هذا الأخير بين يديه سوف تكون البداية المنذرة بالخطر، حيث أن منح الطفل جهاز التحكم التّلفزيوني، يعني – وبكل بساطة- وضعه على حافة الخطر، من خلال إقحامه آليا في عدد لا متناهي من البرامج التّلفزيونية المخلة بالأخلاق والقيم، وانشغال الوالدين عنه، سوف يغنيهما عن التدخل.

- وضع قائمة من البرامج التّلفزيونية والتي من خلالها يستطيع الطفل اختيار من يود مشاهدته، مع تفادي تركه لساعات إضافية أمام جهاز التّلفزيون، إذ لا بد من مراعاة المدة المصنفة في هذا الشأن والمتمثلة في : 30 دقيقة كأقصى حد بالنسبة للأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم أربع سنوات، وساعة في اليوم بالنسبة لمن يتراوح عمره ما بين 4 إلى ستة سنوات .

- تدعيم ممارسة الطفل لمختلف الأنشطة التربوية الأخرى، مثل اللعب مع الأقران، الرسم، المطالعة، الموسيقى، الرياضة، كي لا يجد هذا الأخير نفسه أمام وقت فراغ أو ملل، أو حاجة إلى التغيير.

- تفادي مشاهدة الطفل الزائدة لبرامج العنف، ومنع اقحام هذا الأخير في برامج التّلفزيون.

- إدراج ما يسمى" بقراءة وتحليل الصورة" كوحدة أساسية من الوحدات التعليمية، في الإبتدائية، وتحليل الصورة ونقدها في الإكمالية والثانوية، من أجل تعليم الطفل " ثقافة الصورة" وأساسيات بلاغتها، ودرجات مصداقيتها، ويكون هذا حاجزا أمام انبهاره بها لا سيما إذا ما تعلق الأمر بالصورة التّلفزيونية، والمشاهد العنيفة والإشهار.

كل هذا وغيره، سوف يمكن الطفل، والأسرة بشكل عام التخلص من تداعيات العنف التّلفزيوني على الأطفال، أو على الأقل التقليل منه، وهي مراجعة حتمية للتنشئة الاجتماعية، والتي آن الآوان لأن يتم تكييفها مع التغيير الاجتماعي، من أجل إحداث تغيير إيجابي، أو يميل إلى الإيجابية.

قائمة المصادر و المراجع:

1- مجلة المعرفة الإلكترونية ، بحث بعنوان : العنف في وسائل الإعلام وأثاره النفسية على الأطفال والمراهقين ، العدد 166 : www.almarefh.org

2- محمود إبراقن، قاموس موسوعي للإعلام والاتصال،ديوان المطبوعات الجامعية،ط2، الجزائر، 2007.

3- فضيل دليو، مدخل إلى الاتصال الجماهيري،مخبر علم اجتماع الاتصال،جامعة منتوري،قسنطينة،2003.

4- نعيمة واكد، مقدمة في علم الإعلام، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

5- عزي عبد الرحمن، الزمن الإعلامي والزمن التّلفزيوني، قراءة في تفكيك بنية التحول الثقافي في المنطقة العربية، المستقبل العربي، جامعة الشارقة، (7) بيير بورديو، التّلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجي، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط 1،2004.

6- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، مج 1968،02.

7- Dictionnaire encyclopédie, Larousse, tome 10, librairie Larousse, paris, 1985.

8- جميل صليبة، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

9- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

10- حسنين توفيق إبراهيم، ظاهخرة العنف السياسي في النظم العربية، الأنجلومصرية، القاهرة، 1990.

11- Claudine Chaulet : « Une violence à part » in Insaniyat, centre anthropologie sociale et culturelle n°10- janvier- avril, vol IV , 1 alger, 2000.

12- جليل وديع شكور، العنف والمدرسة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1997.

13- Fitzhugh Dodson, tout se joue avant six ans, Collection Marabaut, Belgique, 1972.

14- جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجية العنف، دار الخلدونية للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2012.

15- عبد الرحمان محمد عيسوي، علم النفس الجنائي أسسه وتطبيقاته العلمية، بيروت، الدار الجامعية، 1990.

16- رشاد علي عبد العزيز موسى، ود. زينب بنت محمد زين العايش، سيكولوجية العنف ضد الأطفال، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة، القاهرة، 2009.

17- Nicole Tremoulet, « vers une approche psycologique de certaines formes de violence contompoaine », in actes du colloque intrnational sur les femmes contomporaines de violence et de paix, O.N.D.H, alger 20-22 septembre 1997.

18- مصطفى عمر التير، العنف العائلي، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، 1997.
19- أحمد جلال عز الدين، الارهاب والعنف السياسي، الأنجلومصرية، القاهرة، 1986.
20- عبد الله سليمان، قانون العقوبات القسم الخاص، الجزائر، بدون سنة ولا دار نشر.
21- محمد أحمد خطاب، مدى فاعلية برنامج سيكولوجي درامي للتخفيف من حدة سلوك العنف لدى عينة من ا لاطفال المتخلفين عقليا، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مصر 2000.
22- محمد فتحي عيد، الإجرام المعاصر، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، 1999.
23- فاتن محمد شريف، دراسا في الانتروبولوجيا الاجتماعية، انتروبولوجيا الأسرة والقرابة، مطبعة الانتصار لطباعة الأوفست، المنصورة (مصر)، بدون تاريخ.
24- سعد المغربي، " الإنسان وقضاياه النفسية والاجتماعية"، المجلة الولية للعلوم الاجتماعية (عدد خاص بالعنف)، العدد37، السنة العاشرة (أكتوبر 1979).
25- عزت سيد اسماعيل، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
26- السيد رمضان، مدخل إلى رعاية الأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية (د.ت).
27- صباح حنا ويوسف حنا، دراسات في سيكولوجية النمو، دار القلم، الكويت، 1988.
28- د.طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، 2007.
29- عاطف عدلي العبد، الاتصال و الرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

30- محمد قيراط، الاثار السلبية للجريمة و العنف في وسائل الاعلام الجماهيري، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد 20، 2008.

31- http:// www.elyahyaoui.org ,/Bourdieu .htm,Rabat,20 avril 2006 ,Yahya El Yahyaoui,sur la télévision, consulté le 25 decembre2013 a 16h

32- نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000.

33- عاطف عدلي العبد، الاتصال و الرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

34- خليل قطب أبو قرة، سيكولوجية العدوان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1996.

35- مرفت الطرابيشي وعبد العزيز السيد، نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2006،2.

36- (50) على أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، سوريا، 1993.

37- شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.

38- Rocher (Guy), Introduction à la sociologie, le changement social, Paris, H.M.H, tour3,1968.

39- سناء الخولي، التغير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993.

40- بيير بورديو، جون كلود باسكرود، إعادة الانتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت،2007.

41- محمد الجوهري وآخرون، النظريات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية،ط1،الإسكندرية،مصر 1995.